



فازت الكاتبة التونسية بنام رضا غداً عن مجموعتها «أمشي وأضحك كاتي شجرة» بالجائزة الأولى في مجال القصة القصيرة في الدورة 19 لجائزة الشارقة للإبداع العربي 2016.

# ثقافة حصاد الأدب والفكر والفن

2016

## الثقافة التونسية، عام من الخطوات البطيئة بأقدام مشدودة إلى الخلف

الأحداث السياسية أضرت بالثقافة والمثقفين المتروكين لأقدارهم • كتاب تونسيون يطمحون إلى الأفضل رغم الواقع الصعب



تونس تحتاج إلى ثقافة بدلة

### الكتاب والمثقفون يدعون إلى إعادة النظر في طرق النشر التي باتت في اعتقادهم مهينة للكاتب والأدب التونسيين

والتناغم مع بعض الأصداق المبدعين هي الحال الذي لم يعد يحد وزارة الثقافة أو الهياكل الرسمية وصاحب القرار، وهم في الحقيقة دونوا الحسابات الضيقة والآباري المرتعشة، إلا في الدفاع عن مصالحهم المادية أساساً، ولا يحملون همومنا ولا يجسدون طموحنا ويفهون بنا إلى الأمام. بل العكس هم قبيح وعراقيل ولعنة لنا نحن المبدعين".

ويضيف حسن "خلال هذه السنة تمكنت من ترجمة ونشر كتابين هماثين في فرنسا، 'القدس' لابونيس وقارب إلى ليسوس' لنوروي الجراح. كما استست سلسلة أدبية ستمتعن بالأب العريسي المترجم والأب العريسي الناطق بالفرنسية، وهي سلسلة 'نيكوس' الصادرة عن منشورات 'موانر' في مدينة بورجو الفرنسية. وشاركت في مغامرة تلفزيونية مع الأديب حسن بن عثمان، وكان لهذه التجربة رغم حلقها الست البتيمة وقع كبير في نفس المشاهدين الذين فهم البعض منهم أختاروا أن الألب والثقافة الحقيقية ليسا موجودين فحسب في تونس، بل هما حل ممكن لمشكلاتنا المعقدة.

مك ذلك، أنشأت أسبوعياً برنامجاً إذاعياً في راديو فرنسي، وكل ذلك في الحقيقة بفضل مشاركتي في مهرجان سبت المتوسطي للشعر، حيث قسمت لبقاوات وتعزفت على أصدقاء وصديقات أنماو بي كمدع ومترجم وجماعي تونسي. لئلا، تلك العبارة تبدو صحيحة. فحقاً ليس هناك من هو نبي في وطنه".

### غياب المشروع

يرى المسرحي التونسي عماد المنى سنة 2016 تعتبر مثل السنوات الخمس التي سبقها في العالم العربي، بعد ثورات الربيع العربي، وخاصة على المستويات الثقافية، وكان الشعوب العربية لم تستوعب ما حدث من ثورات ومدى تجليها وانعكاسها على واقع الثقافة والمثقفين والمثقفات العرب.

يتابع المنى قائلًا "ما حدث في الواقع من أحداث وعنف لم يساهم بشكل كبير في إضرابات ثقافية وفنية ذات جدوى، فأغلب المثقفين بهزهم ما حدث وافهق منهم الشراع ما يمكن أن يكون تعبيراً جمالياً، ثم إن الثورات التي وقعت لم تكن في حسابنا المثقفين، ولكن رغم كل ما حصل وللأسف تواصل أغلب الدول العربية السياسات الثقافية العشوائية وغير المدروسة بشكل مناسب، فالثقافة ليست ضرورة عندها بل هي مكملة ثانوية ويهزج زائد بشكل يجد فيه المثقفون أنفسهم مجرد واجهة تجعل من السياسات العربية نفسها ويتحول المثقف إلى مجرد باحث عن لقمة العيش، بينما الثقافة ضرورة حياتية مثلها مثل الأكل".

الدول العربية في رأي المنى تعاني فرادى ضبابية السياسة الثقافية كما تعاني من غياب مشروع عربي واضح ووفق يخرج المجتمعات العربية من مستنقع العنف والجهل والمحاباة والمصلحة الخاصة والتفوق، وهاك دليل على ذلك هجرة نسبة كبيرة من المبدعين العرب إلى دول أوروبا وباقي الدول المتقدمة.

للوطن والإنسانية، لكن مؤسسات الثقافة تتجاهل دورها في هذا، كما تقول، فحتى وإن ذكرت هذه المؤسسة مبدعياً - إن حدثت وفعلت - فهي تكرمهم أمواتاً، وترى ضيقنا أن الأمثلة على ذلك كثيرة محليا وأكثراً عربياً، ونفقت القاصه السن طاهرة خطيرة هي محاكمات الكتاب والمبدعين، وإبداعهم السجون، إضافة إلى الاستهتار بثرات المبدعين مظلما حدث مع قضية هدم بيت الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي.

أما عن قراءاتها لهذا العام فتقول ضيفتنا "منذ مدة لم أقرأ إلا الروايات المترجمة، غير أنني أخيراً قرأت رواية وحيد المولوية 'خداء فيليني'، وهي رواية حول التعذيب وحكم الضباط بظلمة معالج نفسي تعرض للتعذيب على يد ضابط في الجيش، هي رواية محلية تحدثت عن قسوة حكم الضباط وجبروتهم وقد نجح المؤلف بلغفه الإنسانيية وقدرته على شبيك خيوطه في تحويل المحلي إلى كوني".

من جانبه يقول الشاعر التونسي سفيان رجب "تعتبر سنة 2016 سنة المراجعات السياسية في تونس وتصدمات الكتل البرلمانية المسيطرة على المشهد السياسي في البلاد، وهذا ما أثر على الثقافة بصفة مباشرة، وأجل كل الإصلاحات في هياكلها التي غرقت في البيروقراطية، وكل الإنجازات التي أنجزها المثقف والمبدع التونسي مثل مشروع مدينة الثقافة".

يقابع الشاعر قائلا "سنة مرت رتيبة ثقافياً عدا بعض المهرجانات والمثقفات التي غاب عنها الإبداع، لعل بعض الإضاءات التي تذكرني هي إعادة الملحق الثقافي لجريدة الشعب 'صنارات' ليكون مساحة للمبدعين والمثقفين للتعبير عن آرائهم وعرض إبداعاتهم، على مستوى النشر ثمة بعض الإصدارات المترجمة مثل بعض المجموعات القصصية للكاتب الشاب مجموعة 'كان أمشي خلف جثتي' لعيسى الجابلي ومجموعة 'أمشي وأضحك كاتي شجرة' لوليام غداً ومجموعة 'حكايات نيئة' لوليد الفرشيشي، ولكن تبقى للنشر في تونس مشكلاته التي تحتاج إلى المراجعة الجذرية خاصة على مستوى توزيع الكتاب عربياً وعالمياً".

### بحاجة إلى الحب

مكّلت سنة 2016 بالنسبة إلى الشاعر والمترجم التونسي أمين حسن ثقلاً نوعياً في حقل الثقافة والإبداع، يقول "تأكدت حقاً أن المبادرات الشخصية والأعمال الفردية

بريق التظاهرات الملتزمة بقي جبرا على ورق، بينما هي في الواقع لئسأت ثقافية ضئيلة، لم تحقق نجاحاً. واعتبر الكثيرون أن ما تشهده صفاقس لا يرقى إلى الطلعات التي تأمل أن تكون هذه المحافظة عاصمة ثقافية عربية حقيقية.

ولئن استنبت التونسيون بمحاولات الوزير الجديد محمد زين العابدين، وخاصة من حيث الفتحاح ساحات للفنون بدأت من محافظة القيصرين بالوسط الغربي، ومحاولاته أن يصحح دما جيداً صلب الوزارة وتكثيف العمل، ففتح صدوقاً لدعم المبدعين وكان حاضراً في أغلب التظاهرات الثقافية وداعماً لها، فإن هذا لا يبدو كافياً في صلب وزارة مهددة دائماً بالخضف من ميزانيتها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الثقافة التونسية محتاجة إلى إعادة هيكلة والتخلص من أساليب العمل القديمة التي لم تقدم سوى ملثقي وثقافة النخام لا الشعب، إضافة إلى ضرورة دعم الشباب لتحقيق أهداف مستقبلية مأمولة.

### تجاهل ورتابة

من أبرز ما حاق بالساحة الثقافية هذا العام رحيل الشاعر التونسي محمد الصغير أولاد أحمد، الذي توفي في 2016 من أبريل عن عمر 61 عاماً، في أبريل ولد في أبريل غادر الحياة، شاعر كانت قصائده أيقونات ثورية رفعتها الحناجر والياطات والجدران منذ أيام الثورة كتمائم في وجه الاستبداد.

كما ودع التونسيون نكسماً هذا العام واحداً من أبرز رموز المسرح التونسي، المصنف السويدي الذي توفي في الأساس من نوفمبر الماضي، والسويدي مطل وخرج مسرحي تونسي، له العديد من المسلسلات والمسرحيات وأبرزها إخراج مسرحية "بابا لنين" سنة 1981.

تقول الكاتبة والقاصة التونسية فائقة الغفالي عن هذا العام الثقافي إن "الثقافة التونسية ما زالت بيد المؤسسة المهمة والكتاب والفنانين، إلا وهي وزارة الثقافة التي اعتبرها مؤسسة وهمية، نظراً إلى أن ميزانيتها ضئيلة جداً مقارنة بميزانيتها بقية المؤسسات أولاً، وثانياً لأن دورها متدعم في حياة المبدعين، لذلك تبدو الإجابة عن سؤال ماذا أنجزت وزارة الثقافة؟ أنها لم تنجز شيئاً، وإن أنجزت فداوماً يكون بشكل لا يليق بانطلاق المبدع".

لكن المبدع، في نظر الغفالي، ينتظر يوماً دعماً معنوياً ومادياً واعتزازاً بما يقدمه

ما زالت الثقافة في تونس تعمل بأجهزة ما قبل الثورة، وهو ما خلق تذبذباً ثقافياً من ناحية انكفاء هذا القطاع الحيوي والمحوري على نفسه وكذلك حفاظه على وجهه القديم الذي يحصر الثقافة في الترفيه والجانب المكمّل لا المحوري، وهو ما ينزع النجاعة عن الفعل الثقافي في محيطه.

### محمد ناصر الموهبي

ما لا تزال الثقافة التونسية سواء من حيث التخطيط أو الأنشطة الثقافية بيد وزارة الثقافة التونسية، رغم انطلاق أنشطة أخرى برعاها القطاع الخاص، إلا أنها ما زالت تعاني من قلة الدعم والبرودية. ويرى أن هذا العام هو الفنانة سنية مبارك والباحث محمد زين العابدين، الذي ما زال يحاول أن يفضي بصمة مختلفة عما قدمه الوزراء الخمسة الذين تعاقبوا على كرسي وزير الثقافة على مدى ست سنوات، شهدت فيها الثقافة التونسية جدواً ورياء، بين محاولات التحكم في الثقافة والمثقفين ومحاولات أخرى لتحريرها لكن دون وجهة محددة ومدروسة.

### أب بلنا نأشرون

لم تشهد سنة 2016 حراكاً ثقافياً مغايراً أو جديداً، كعادته انتظم هذه السنة معرض الكتاب الدولي بطنوس في دورته الـ 32 من 25 مارس إلى غاية الثالث من أبريل 2016 بفضاء قصر المعارض بمدينة الكرم في ضاحية العاصمة الشمالية.

وبقيت الانقراض موجهة خاصة إلى الأنشطة الثقافية التي اقترحتها الإدارة الجديدة للمعرض، والتي خلقت جدلاً واسعاً قبل وبعد أيام المعرض، خاصة حول الأسماء المدعوة، وعدم تجديد انتظمة المعرض التي باتت تبهت عاماً فآخر.

وإن لاققت فكرة جوائز الإبداع التي قدمها المعرض استحسان المبدعين خاصة، فإنها أشارت بعض الانتقادات من قبل شعراء وقاصين فاطموها، نظراً إلى مشاركة البعض بكتب مختارة كاعمال كاملة، علاوة على منح الجائزة وفق الاسم لا العمل، لكن البعض الآخر رأى أن الجوائز تمتعت بمقدار من الشفافية، فيما يرى آخرون أن المعرض ما زال إلى اليوم تحت سيطرة الأكاديميين من الجانبين التونسيين، وهو ما يخلق تذبذباً في علاقة المعرض بالمبدعين، إذ ما زالت علاقة الأكاديمي بالإبداع متصدعة في تونس كما هو الحال عربياً.

وبقيت جوائز مثل جائزة كومار للرواية وجائزة كانما للمصممة للشعر في دورته هذا العام محل ترحيب من الكتاب التونسيين الذين يعانون من ندرة الجوائز الأدبية التي يمكنها خلق حراك أدبي معين.

من جهة أخرى فإن ما شهدته هذا العام من إصدارات كتب تميز بانخفاض مساهمة الكتاب الشباب، ويعد ذلك في رأي بعضهم إلى رداة أساليب النشر في تونس حيث الناشر تونسي اكتفوا بالصيغة التجارية للنشر وهو ما خلف صعاباً خاصة للمبدعين الشباب خاصة.



### الخوف من الفشل

أهم التظاهرات الثقافية التي ما زالت فعالياتنا مستمرة إلى اليوم هي تظاهرة "صفاقس عاصمة الثقافة العربية"، حيث وقع اختيار محافظة صفاقس التونسية لتكون عاصمة ثقافية عربية، فيها قدمت أسابيع ثقافية لعدة بلدان عربية، إضافة إلى فعاليات تنوعت بين السينما والعروض الفرجوية والفولكلورية والأمسيات الأدبية فضلاً عن المعارض الفنية والتشكيلية، وغيرها من النشاطات التونسية والعربية.

لكن المثقفين والمثقفين، وغيرها من انتقادات حادة للمنظمين، إذ اعتبروا أن



فائقة الغفالي وأمين حسن وسفيان رجب وعماد المنى مثقفون تونسيون ضد تجاهل الدولة للثقافة وفاعليها